الباب الأول

المقدمة

أ. خلفية البحث

وتعد الاستعارة من أجل أبواب علم البيان وأكثرها ثراء في التراث البلاغي العربي الكلاسيكي. فهي في اصطلاح البلاغيين نوع من المجاز اللغوي يقوم على نقل اللفظ من معناه الأصلي إلى معنى آخر تربطه به علاقة مشابهة، مع وجود قرينة لغوية أو سياقية تمنع إرادة المعنى الحقيقي. وقد عرّفها عبد القاهر الجرجاني في أسرار البلاغة بأنها استعمال اللفظ في غير ما وضع له على سبيل العارية، فيكون هناك كالعارية، مشيرا إلى أن فاعليتها البلاغية لا تنبع من مجرد التصوير بل من الكشف عن علاقات دلالية خفية بين المعاني. وأضاف السكاكي في مفتاح العلوم أن الاستعارة تقوم على ادعاء دخول المشبه في جنس المشبه به على وجه المبالغة والتأكيد.

وبسط الجارم وأمين في البلاغة الواضحة هذا المفهوم بقولهما إن الاستعارة تشبيه حذف أحد طرفيه فعلاقتها المشابهة دائما. وتنقسم الاستعارة في هذا الإطار إلى تصريحية ومكنية باعتبار ذكر طرفيها، وإلى أصلية وتبعية باعتبار اللفظ المستعار، وإلى مرشحة ومجردة ومطلقة باعتبار ما يصاحبها من ملائمات. وتجدر الإشارة إلى أن هذا البحث ينطلق من مفهوم الاستعارة في علم البيان العربي لا من مفهومها في الإطار المعرفي الحديث عند لايكوف وجونسون، إذ إن الأداة التحليلية المعتمدة هنا هي الموروث البلاغي العربي الكلاسيكي المتمثل في كتابي البلاغة الواضحة والدراسات البلاغية المعاصرة التي تفرعت عنها.

ولا تؤدي الاستعارة في هذا الإطار وظيفة التزيين اللفظي وحسب، بل تكشف عن سر بلاغتها الحقيقي الذي حدده الجارم وأمين في البلاغة الواضحة في ناحيتين جوهريتين متكاملتين. الأولى بلاغتها من ناحية اللفظ المتمثلة في تناسي التشبيه، إذ يقوم تركيب الاستعارة على إخفاء التشبيه وطمسه عمدا، فيحمل المتلقي على تخيل صورة جديدة تنسيه روعتها ما تضمنه الكلام من تشبيه خفي مستور، وتتملك هذه الصورة مشاعره

حتى يعيش المعنى كحقيقة وجدانية لا كمقارنة بلاغية. والثانية بلاغتها من حيث الابتكار وروعة الخيال وما تحدثه من أثر في نفوس السامعين، إذ تقوم الاستعارة في هذه الناحية على إبداع صور خيالية حية تحول الجمادات إلى كائنات فاعلة والمجردات إلى مشاهد محسوسة، وتحمل في طياتها دلالات ضمنية تتجاوز التصوير إلى الكشف عن أعماق التجربة الإنسانية (الجارم وأمين، ص٩٠-٩٢). وتمثل هاتان الناحيتان الإطار التحليلي الذي يعتمده هذا البحث في استجلاء المعاني البلاغية للاستعارة في نصوص ألبوم مع الحب الذي يغنيه كاظم الساهر، لا تصنيفا شكليا فحسب بل كشفا عن الوظيفة الجمالية والانفعالية التي تؤديها كل استعارة في بناء الخطاب الشعري الغنائي.

كاظم الساهر، وفقا لمهرجان *Byblos Internasional Festival*، مغني وكاتب أغاني وملحن موسيقي عربي من العراق، ولد في الثاني عشر من سبتمبر سنة ١٩٥٧، ويعرف بوصفه أحد أكثر الشخصيات تأثيرا في الموسيقى العربية المعاصرة(Byblos International Festival, 2012). وتمتاز أعماله بدمج العناصر الشعرية والرومانسية في الكلمات، مصحوبة بتراكيب موسيقية أنيقة ومعبرة. ويعد الساهر شخصية محورية في الموسيقى العربية، وقد لقب بقيصر الغناء العربي *"The Caisar Of Arabic Music"* نظرا لدوره البارز في نشر الموسيقى العربية على الساحة الدولية، وكذلك قدرته على المزج المتناغم بين الشعر واللحن باستخدام اللغة العربية الفصحى.

ومنذ انطلاقته الفنية، ميّز الساهر نفسه عن سائر المطربين العرب باختياره نصوصا شعرية فصيحة مصدرا لأغانيه، مما منح أعماله عمقا لغويا وبعدا جماليا نادرا في عالم الأغنية الشعبية. وقد لُقّب بقيصر الغناء العربي نظرا لدوره البارز في نشر الموسيقى العربية على الساحة الدولية وقدرته على المزج المتناغم بين الشعر الكلاسيكي والتلحين المعاصر .(Abed-Rabbo, 2020)ولم يكتفِ الساهر بدور المؤدي، بل عمل وسيطا ثقافيا نقل قصائد كبار الشعراء العرب من الصفحة إلى المسرح محافظا على بنيتها الأدبية وعمقها البلاغي في قالب موسيقي يصل إلى جمهور متعدد الأجيال والثقافات. وهذا النهج الفني الذي يقوم على اختيار النصوص الشعرية الجاهزة وإعادة تقديمها في قالب غنائي هو السمة الجوهرية التي تميز مسيرته، مما يجعله في المقام الأول

مؤديا فنيا ووسيطا ثقافيا بين النص الشعري المكتوب والمستمع، لا مؤلفا شعريا بالمعنى الدقيق. وتجلت هذه الخاصية بصورة فائقة في مرحلة تعاونه مع الشاعر نزار قباني التي وصفها النقاد بأنها لقاء متناغم بين النص الشعري والتلحين الموسيقي، إذ فسر الساهر قصائد قباني تفسيرا موسيقيا دون أن يُخلّ ببنية المعنى والعاطفة والرمزية اللغوية فيها.

والنصوص الغنائية في الدراسات اللغوية المعاصرة ليست نصوصا مصاحبة للموسيقى فحسب، بل هي أعمال أدبية تمتلك بنية شعرية ووظيفة تعبيرية تتيح تحليلها بالمناهج ذاتها المستخدمة في نقد الشعر الكلاسيكي والحديث (Alfalah dkk., 2021) وتؤكد الدراسات السيميائية والأسلوبية على أن النصوص الغنائية تنقل المعنى عبر الرموز والاستعارة والعناصر اللغوية المألوفة في الشعر، وتعكس قيما عاطفية وثقافية عميقة تجعلها وسيطا تعبيريا لا يقل أهمية عن الديوان الشعري (Wahidah & Mardiansyah, 2025)

وفي التراث العربي تحديدا، يحتل الشعر مقام الصدارة في التعبير الثقافي منذ العصر الجاهلي، ومن ثم فإن الأغنية التي تعتمد على نصوص شعرية فصيحة كأغاني ألبوم مع الحب تستوجب أن تُعامَل بوصفها قصائد مغناة لا مجرد مواد ترفيهية، وأن تخضع للتحليل البلاغي المتخصص الذي يكشف عن طبقاتها الدلالية والجمالية.

وفي الرابع عشر من فبراير ٢٠٢٤، أصدر كاظم الساهر ألبومه مع الحب بعد انقطاع فني امتد ثماني سنوات، فكانت عودته حدثا موسيقيا مرتقبا لقي استحسانا نقديا واسعا ووصفه عدد من المتابعين بأنه من أعمق أعماله وأكثرها حضورا للطابع الرومانسي (عمر, ٢٠٢٤). يضم الألبوم ثلاث عشرة أغنية تبلغ مدتها الإجمالية نحو ثمانية وستين دقيقة، وتتوزع نصوصها الشعرية بين عدد من الشعراء؛ إذ كتب نزار قباني كلمات ثلاث أغانٍ هي بيانو ومعك وتراني أحبك، وكتب كريم العراقي ثلاث أغانٍ أخرى هي يا وفية ولا تظلميه والليل، فيما أسهم كل من يسير البيلي ودارين شبير وخليل عيلبون وجمان جمال وداود الغنام بأغنية لكل منهم على التوالي. والجدير بالذكر أن كاظم الساهر لم يكتب من هذه النصوص سوى أغنية واحدة هي يا قلب، مما يعني أن دوره في هذا الألبوم يتمثل أساسا في التلحين والأداء الغنائي لا في تأليف النصوص الشعرية .(Rotana News, 2024)

وقد اختار الساهر أن يتزامن إصدار الألبوم مع يوم الحب تعزيزا لموضوعه المحوري وهو الحب بوصفه رمزا عاطفيا وإنسانيا جوهريا، مما أتاح له قبولا واسعا لدى جمهور الموسيقى الشعبية وعشاق الموسيقى العربية الكلاسيكية في آن واحد. وما يميز هذا الألبوم عن غيره من الأعمال الغنائية المعاصرة أن نصوصه لا تكتفي بالمحتوى العاطفي الرومانسي، بل تتميز بلغة شعرية مكثفة تزخر بالصور البيانية الراقية التي تجعل كل أغنية فيه أقرب إلى القصيدة المغناة منها إلى الأغنية الشعبية العادية، وهو ما يجعله نموذجا خصبا حقيقيا للدراسة البلاغية.

وتكشف قراءة أولية لنصوص الألبوم عن كثافة لافتة في استخدام الاستعارة بأنواعها وأشكالها المختلفة. فمن ذلك عبارة كم ضاقت الدنيا علي من أغنية يا وفية، وهي استعارة مكنية تبعية تتمثل فيها الدنيا في صورة مكان مادي ضيق تتآكل حدوده وتنطبق على صاحبه، وقد تملكت هذه الصورة على المتلقي إحساسه فأذهلته عما اختبأ في الكلام من تشبيه، ليتحول الضيق النفسي المجرد الى واقع حسي يشعر المتلقي بالاختناق. وعبارة تجرع السم لحظة قوله رحلت من أغنية لا تظلميه، وهي استعارة تصريحية أصلية يتمثل فيها خبر الرحيل في صورة سم قاتل يبتلع دفعة واحدة، فيتحول الوجع المعنوي الى أثر مادي فتاك يعايشه المتلقي بحسه لا بتجريده. وعبارة كل شيء معاك يكون احتلالا أو لا يكون من أغنية معك، وهي استعارة تبعية تتمثل فيها العلاقة العاطفية في صورة جيش غاز يستولي على الوجود كله، وهذا التصوير المبتكر يحمل دلالة ضمنية على استحواذ المحبوب الكلي الذي لا يترك مجالا للمشاركة أو المقاومة. وهذه النماذج الأولية وحدها كافية للدلالة على أن الاستعارة في هذا الألبوم ليست أداة تزيين لفظي طارئة، بل هي الركيزة التي يبنى عليها المعنى العاطفي ويتشكل بها الخطاب الشعري في مجمله.

وبمراجعة الدراسات السابقة يتضح أن الاهتمام الأكاديمي بكاظم الساهر من منظور بلاغي لغوي لا يزال شحيحا على الرغم من ثراء أعماله وانتشارها الواسع. فقد انصبّ معظم الاهتمام على تناوله من زوايا ثقافية أو موسيقية أو أيديولوجية (Romero, 2018)، في حين بقيت النصوص الشعرية التي يغنيها بعيدة عن التحليل البلاغي المتخصص. وعلى صعيد الدراسات التي تناولت الاستعارة في الأدب العربي عموما،

فقد تنوعت مجالاتها بين النصوص القرآنية والشعر الكلاسيكي والأغاني المنفردة؛ فدرس مرديونو وآخرون (٢٠٢٣) الاستعارة في سورة المائدة من منظور البلاغة (Murdiono dkk., 2023) وتناول صقتي وكمار الدين (٢٠٢٣) توظيف الاستعارة في التفسير القرآني المنهجي (Sakti & Komarudin, 2023) وأجرى أرسال وآخرون (٢٠٢٤) تحليلا أسلوبيا لكلمات أغنية قصة حب لرامي عياش (Arsal dkk., 2024) ودرست فطرية وزملاؤها (٢٠٢٥) الاستعارة في قصيدة يا حبيب يا حبيبي(Fitriyah dkk., 2025)، فيما تناول ياسين والحسنة (٢٠٢٥) أسرار الاستعارة البلاغية في قصيدة الهمزية النبوية لأحمد شوقي(Yasin & Hasanah, 2025) ، وبحثت روسنا وآخرون (٢٠٢٤) في الاستعارة الرومانسية في قصيدة رسالة من تحت الماء .(Rusna dkk., 2024)

غير أن هذه الدراسات جميعها تكشف عن ثلاث فجوات جوهرية: أولها أن أيا منها لم يتناول أعمال كاظم الساهر تحليلا بلاغيا متخصصا، وثانيها أن الدراسات التي تناولت كلمات الأغاني اقتصرت في الغالب على أغنية منفردة دون معالجة ألبوم متكامل بوصفه وحدة بلاغية واحدة، وثالثها أن معظم هذه الدراسات لم تربط بين التصنيف البنيوي لأنواع الاستعارة وبين استجلاء أسرارها البلاغية الجمالية في بناء الرسائل العاطفية والشعرية.

وتتحدد مساهمة هذا البحث العلمية في سد هذه الفجوات الثلاث معا؛ إذ يتناول ألبوم مع الحب لكاظم الساهر بوصفه وحدة بلاغية متكاملة لا مجرد مجموعة أغاني منفصلة، ويُجري تصنيفا منهجيا لستة وخمسين شاهدا استعاريا استُخرجت من ثلاث عشرة أغنية وفق ثلاثة محاور تصنيفية هي: اعتبار ذكر المشبه والمشبه به تصريحية ومكنية، واعتبار اللفظ المستعار أصلية وتبعية، واعتبار ما يصاحبها من ملائمات مرشحة ومجردة ومطلقة. ثم يستجلي معانيها البلاغية من ناحية اللفظ أن تركيبها يدل على تناسى التشبيه و من حيث الابتكار ، وروعة الخيال.

ويتجاوز البحث بذلك التصنيف الشكلي إلى التفسير الدلالي والجمالي الذي يكشف عن كيفية توظيف الاستعارة أداة بنائية لتشكيل التجربة الوجدانية في الخطاب الغنائي العربي المعاصر. وبهذا يأمل البحث أن يُقدّم نموذجا منهجيا يُثبت أن الإطار البلاغي

الكلاسيكي يمتلك طاقة تفسيرية حية قادرة على الكشف عن الجمالية الشعرية في الأدب الغنائي العربي المعاصر، وأن يكون إسهاما في تجسير الهوة بين الموروث البلاغي العربي وأشكال التعبير الأدبي الشعبي في القرن الحادي والعشرين.

ب. تركيز البحث وفرعيته

أما تركيز هذا البحث فينصب على تحليل الاستعارة في ألبوم أغاني مع الحب لكاظم الساهر

فرعية التركيز لهذا البحث فيما يلي:

١. أنواع الاستعارة الواردة في النصوص الغنائية لألبوم مع الحب لكاظم الساهر
٢. المعاني البلاغية والجمالية للاستعارة في بناء الرسائل العاطفية والشعرية في النصوص الغنائية لألبوم مع الحب لكاظم الساهر.

ج. تنظيم المشكلة وأسئلة البحث

بناء على الخلفية البحثية وتركيز البحث المذكورين أعلاه، يمكن صياغة إشكالية البحث في هذه الدراسة على النحو الآتي:

١. كيف أنواع الاستعارة الواردة في النصوص الغنائية لألبوم مع الحب لكاظم الساهر؟
٢. كيف المعاني البلاغية والجمالية الاستعارة في إيصال الرسائل العاطفية والرومانسية الشعرية في النصوص الغنائية لألبوم مع الحب لكاظم الساهر؟

د. أهداف البحث

أما أهداف هذا البحث فهي كما يلي:

١. تحديد ووصف أنواع الاستعارة الواردة في النصوص الغنائية لألبوم مع الحب لكاظم الساهر، وذلك استنادا إلى نظرية البلاغة الكلاسيكية والحديثة.

٢. تحليل المعاني البلاغية والجمالية الاستعارة في إيصال الرسائل العاطفية والرومانسية والشعرية في النصوص الغنائية لألبوم مع الحب لكاظم الساهر من خلال المنهج الأسلوبي.

هـ. أهمية البحث

يشتمل هذا البحث على بعدين رئيسين، هما الأهمية النظرية والأهمية التطبيقية، وذلك على النحو الآتي:

١. **الأهمية النظرية**

أ) الإسهام في تطوير دراسات الأسلوبية العربية، ولا سيما ما يتعلق بتحليل الاستعارة في النصوص الأدبية الحديثة المتمثلة في كلمات الأغاني، التي لا تزال أقل تناولا في البحث العلمي مقارنة بالنصوص الشعرية والنثرية.

ب) تعزيز الصلة بين نظرية البلاغة الكلاسيكية وممارسات الجمالية اللغوية المعاصرة، وخاصة في الأعمال الموسيقية العربية الحديثة.

ج) أن يكون هذا البحث مرجعا مفاهيميا للدراسات اللاحقة في مجال المجاز والاستعارة في النصوص الأدبية الشعبية، سواء في جنس الشعر أو الغناء أو غيرها من أشكال الأدب العربي الحديث.

٢. **الأهمية التطبيقية**

أ) تقديم نموذج تحليلي تطبيقي لطلبة ومعلمي اللغة العربية في فهم الاستعارة من خلال أمثلة عملية قريبة من التجربة الثقافية والشعبية، مثل نصوص الغنائية كاظم الساهر.

ب) إثراء مواد تدريس البلاغة والأسلوبية من خلال توفير معطيات اصيلة من نصوص حديثة يمكن توظيفها في العملية التعليمية، بما يسهم في تنمية التذوق الجمالي والفهم البلاغي لدى الطلبة.

ج) مساعدة القراء ومحبي الأدب العربي على تفسير الرسائل العاطفية والرومانسية الشعرية التي تبنى بواسطة الاستعارة، بما يعزز فهمهم لتعمق الدلالات والمعاني في النصوص الغنائية العربية المعاصرة.